ان الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة
مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر ان النافلة يجبر بها ما نقص من
الفرائض لكن نقل القرطبي في التذكرة عن الشافعي رضي الله عنه ان ذلك
فيما نقص من الفرائض سهوا واما ما نقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وان
كثرت جدا وقوله ولم اصل سوى فرض ولم اصم انما خص الصلاة والصوم
بالذكر لانهما محض عبادة بدنية وانما سكت عن الايمان لانه لا يتنفل به
وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول اي ولم اصم سوى فرض لا يقال
يبعد انه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم
عاشورا وغيره لانا نقول انما نفى ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة
العدم لاتهامه لنفسه في الخلاص فيه وما قيل من انه كان اذا صلى نافلة
نذرها او صام نفلا نذره فهو بعيد وخاصية هذا البيت والذي
قبله ان من دخله العجب او الريا في علم او عمل كتبهما عند طلوع الفجر وكررها
احدى وسبعين مرة وعلق ذلك المكتب على عضده الايسر مما يلي
جنبه فانه يتواضع ويصير امنا من العجب والريا قوله ظلمت سنة من
هذا تخلص للشروع في المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع
فيه الا بعد الوعظ والاستغفار والندم تاهبا لمدح هذا الجناب الشريف
ولما اخبر عن نفسه بما اخبر من كثرة التفريط والخبر بانه لم يتزود من
النافلة حكم بانه ظلم سنة سيد المرسلين اي جار فيها ووضعها في غير
موضعها لان الظلم هو الجور ووضع الشيء في غير محله والسنة لغة الطريقة
وشرعا الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب ومن واقعة
على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله احيى الظلام اي انار الليل المظلم
بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد باحيائه انارته بالصلاة اذ العبادة
كما تؤثر النور في وجه العابد تؤثره في زمنها ولا يخفى ان في كلامه استعارة
تصريحية تبعية او استعارة مكنية فيكون قد شبه الانارة بالاحيا
بجامع النفع في كل واستعار الاحيا للانارة واشتق من الاحيا بمعنى

الانارة

١٤

الانارة احيى بمعنى انار او شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيى تشبيها مضمرا
في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الاحيا وقوله
الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم اي واستمر احياؤه صلى الله عليه وسلم للظلام
الى ذلك فهو غاية في الاحيا لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكا القدمين
كناية عن شدة الالم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم
ازدياد الحجم على غير اقتضا طبيعي وسببه ورم القدم من كثرة القيام انصباب
المواد التي في اعالي الجسم اليهما لطول القيام فانه صلى الله عليه وسلم وان لم يكن
يزيد بالليل على اثني عشر ركعة لكن كان يطيل فيها وقد روى المغيرة انه
قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
وفي رواية انه قال جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا فانزل الله
سبحانه وتعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وفي هذا البيت
مزيد التعزير لنفسه فكانه يقول لها ما بالك في هذا التقصير وعدم الاقتدا
به صلى الله عليه وسلم في كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه
الصفة من بين الصفات وخاصية هذا البيت والاربعة بعده
ان من حصل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولازالت نفسه
تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الابيات في لوح ويجعله عند راسه
فيتزين لوجه العمل الصالح ويحدثه نفسه بامور الاخرة قوله وشد من سغب
اي عطف على احيى الظلام اي فهو من عطف على الصلة فيكون صلة وانما اتى بذلك
نظرا لقوله في البيت السابع ولم اصم عقب قوله ولم اصل سوى فرض وبهذا
ظهر حكمة تخصيصها فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين
مهملة وغين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل اي عصب وربط من اجل
جوع وقوله احشاءه مفعول للشد والاحشاء جمع حشا وهو كما في الصحاح
ما اتضمن عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الامعاء وفائدة هذا الشد
انضمام الاحشاء على المعدة فتخمد الحرارة لبعض خمود لان المعدة اذا امتلات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1